بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 3 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:2021\\ م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

مازال البحث فيما يسمى بالحروف المقطعة، وذكرنا واستعرضنا الأقوال، وتبين لنا أن بعض الأقوال ثبوتاً فيها إشكال؛ لترتب توالي فاسدة عليها، وبعض الأقوال ثبوتاً لا يوجد فيها إشكال، يمكن أن نلتزم بها، غاية الأمر تفتقر إلى دليل في مقام الإثبات، لا يكفي إمكان الشيء خصوصاً في صورة التعدد إلا إذا قام الدليل عليه في مقام الإثبات، وهذا ليس من الموارد التي يكون مقام ثبوتهاً مغنياً عن مقام إثباتها، ذلك يكون في صورة الانحصار، أما مع وجود أقوال متعددة، وعدة أقوال ممكنة ثبوتاً، فتعيين واحد من هذه الأقوال يحتاج إلى دليل في مقام الإثبات.

نتعرض لطائفتين من الروايات:

الطائفة الأولى: ما نقله العامة، أكثر الروايات التي نقلها العامة روايات مقطوعة، وتقف على أئمة التفسير، لا تصل إلى النبي الأعظم ﷺ، تصل إلى ابن عباس، سعيد ابن جبير، ابن مسعود، هؤلاء المعروفين بأئمة التفسير، فمثل هذه الروايات لا قيمة لها؛ لأنها ليست عن معصوم. نكتفي بذكر روايتين في هذه الطائفة:

الرواية الأولى: ما رواه الطبري في تفسيره وهي رواية طويلة[1]، خلاصتها: أن أبو ياسر بن أخطب، وهو يهودي، مر برسول الله ﷺ فوجده يقرأ ﴿الم (1) ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِين﴾[2] رجع إلى قبيلته، وقال: سمعت كذا وكذا، أخوه كان من وجهاء اليهود فجاء إلى النبي ﷺ ويتأكد من هذا الأمر، أنه فعلاً نزل عليك كذا وكذا. قال: له نعم. فقال: عجيب، بدأ يثير بين الناس أنكم كيف تؤمنون بدين أيامه محدودة؛ لأنه الم أخذها على حساب الجمل، فهذا مئة وبضع سنين يحكم هذا الدين، فكيف تأمنون بدين مدته هذه المدة المحدودة، فالنبي ﷺ قال: عندنا شيء آخر أيضاً المر، قال هذا أكثر، قال له: عندنا أكثر، وبدأ يتلو عليه الحروف المقطعة الأخرى. بالنتيجة كيف ما كان هناك محدودية زمنية بالنسبة لهذه الحروف المقطعة.

هذه الرواية مضافاً إلى ضعف سندها حتى عند العامة، فضلاً عن خاصة، لا تستطيع أن تثبت نظرية حمل هذه الحروف المقطعة على حساب الجمل؛ لأنه ليس فيها ما يدل على أن النبي ﷺ قد ارتضى هذا الفعل، قد يكون من باب مجاراة الخصم لأجل تبكيته، أنه إذا ألم تراها بضع ومئة سنة، فعندنا عندنا أكثر من ذلك، قد يكون مجاراة الخصم لأجل تبكيته، ولا يقصد من ذلك تأييد هذه النظرية، خصوصاً أن مضمون هذه الرواية ورد عندنا أيضاً، ويعلق عليه كما سيأتي الإمام الصادق عليه السلام أن هذه الحروف ليس معناها ما ذهب إليه ابن أخطب، فيؤكد هذه الحقيقة.

الرواية الثانية: ما رواه الثعلبي في تفسيره عن علي عليه السلام، قال: (قال علي بن أبي طالب عليه السّلام: إنّ لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجّي)[3].

---

[1] جامع البيان في تفسير القرآن، ج1، ص: 74

[2] البقرة 1، 2

[3] الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج1، ص: 136

هذه الرواية على اختصارها، تمسك بها العلامة الطباطبائي رحمه الله لإثبات نظريته في الحروف المقطعة، ونظرية العلامة الطباطبائي في الحروف المقطعة تتركب من عنصرين:

العنصر الأول: أن الحروف المقطعة رموز بين الباري تبارك وتعالى وبين الرسول صلى الله عليه وآله.

العنصر الثاني: أنه على الرغم من رمزيتها إلا أن هذه الحروف تشير إلى مضامين السور، ويقول الملفت للنظر: أن سورة الأعراف -مثلاً- فيها ﴿المص﴾ فنلاحظ أن مضمون سورة الأعراف جامع بين سور الم وبين سورة ص، وهكذا جاء باستنتاجات من هذا القبيل.

لأجل ذلك أقول نظرية العلامة الطباطبائي تتركب من هذين عنصرين، يعني علماء تفسير يقولون: هي رموز لا نعرف معناها. لكن هو على الرغم من التزامه بكونها رموزاً إلا أنها تشير إلى بعض المضامين.

استند العلامة الطباطبائي وأيد هذه النظرية بهذه الرواية التي رواها الثعلبي عن أمير مؤمنين عليه السلام مع قطع النظر عن نظريته، استفادة هذه النظرية من هذه الرواية محل إشكال؛ ذيل الرواية (صفوة هذا الكتاب حروف التهجي) كيف تدل على الرمزية، فضلاً عن العنصر الثاني! هذا في الواقع فيه نوع من تحميل النص لوجه متبناة، وهذا كثير ما يقع فيه العلماء، أنا لا أتبنى وجهة نظر، فأحاول أن أوجه النص توجيها يتناسب مع وجهة نظري، حتى في الفقه يمر عندنا بعض الأمور، هناك متبنيات مسبقة يتبناها الفقيه، ويريد أن يحملها لبعض النصوص، مقتضى الموضوعية والإنصاف أننا إذا كنا نبحث عن موقف القرآن أو الشريعة أو النظرية أن نبحث عن خلفية بهذه الطريقة، أننا نريد أن نعرف النظرية من الرواية ومن النص، لا أننا نبني على شيء، ونريد أن نحمل النص ما نبني عليه، لو كنا نحن وهذه الرواية، هذه الرواية أين ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام؟ في أي مناسبة؟ هل كان يفسر القرآن؟ هل كان يتكلم عن الحروف المقطعة؟ لا يوجد ذلك، وإنما الثعلبي أوردها في بحث الحروف المقطعة، لعله هو فهم ذلك. هذه الرواية قد تتناسب مع ما ذكره العلامة الطباطبائي، وقد تتناسب مع غيره من الأنظار، قد يكون هذا الاصطفاء لهذه الحروف ناشئ من كون هذه الحروف هي مفاتيح كل الآيات، لكنها كرمز أعطيت للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وتكون لها دخالة في بطون القرآن، ما عندنا نحن أن القرآن في سورة النحل فيه ﴿تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[4] استعملت الآية كل التي تدل على العموم، ولفظة شيء التي هي أوسع المفاهيم،

أن نأتي ونخصص ذلك أن كل شيء ما يهم الشريعة، هذا صار تقييداً، لكن هذا القرآن الذي فيه تبيان لكل شيء، في سورة الواقعة ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيم﴾[5] كريم في بعض تفسيراتها المعطاء، كرمه لا حد له، لكن هذا الذي يعطي بلا حد في ﴿فِي كِتابٍ مَكْنُون﴾[6] مكنون يعني مغلق، هذا الكتاب المغلق يحتاج إلى مفتاح لكي نعرف تبيانية كل شيء، مفتاحه ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[7] لنأتي إلى سورة الأحزاب ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾[8] إنما على نحو الحصر، هذا المفتاح موجود فقط عند طائفة خاصة ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾ قد تكون هذه الحروف مفاتيح عند هؤلاء الصفوة يستطيعون من خلالها أن يعرفوا تبيانية القرآن لكل شيء، هذا كلام أمير المؤمنين عليه السلام يمكن أن يتناسب مع هذا الكلام، لا أدعي أنه حتماً هذا هو المراد، وإنما يمكن أن يتناسب معه، فلا نستطيع أن نستفيد من هذه الرواية، فضلاً عن كونها مرسلة، أن نستفيد نظرية بخصوصها.

هذه هي بعض الروايات المروية عن العامة.

الطائفة الثانية: وهو ما ورد عن الخاصة، يوجد كثير من الروايات وردت من طرق خاصة، أكثرها رواها الشيخ الصدوق:

الرواية الأولى: ما رواه علي ابن إبراهيم في تفسيره،[9] وهو من ناحية المضمون يشبه مضمون رواية الطبري، المحمولة على حساب الجمل، والرواية عن الإمام الباقر عليه السلام لكنك عرفت لا يوجد فيها ما يدل على إمضاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله حساب الجمل. مضافاً إلى الإشكال السندي في تفسير القمي.

---

[5] الواقعة 77

[6] الواقعة 78

[7] الواقعة 79

[8] الأحزاب 33

[9] تفسير القمي، ج1، ص: 223. حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن حيي بن أخطب وأبا ياسر بن أخطب ونفراً من اليهود من أهل نجران أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا له: أليس فيما تذكر فيما أنزل إليك ﴿الم﴾؟ قال: بلى، قالوا: أتاك بها جبرئيل من عند الله؟ قال: نعم، قالوا: لقد بعثت أنبياء قبلك ما نعلم نبياً منهم أخبر ما مدة ملكه وما أكل أمته غيرك، قال: فأقبل حيي بن أخطب على أصحابه فقال لهم: الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة، فعجب ممن يدخل في دين مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة، قال: ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمد هل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قال: هاته، قال: ﴿المص﴾ قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه مائة وإحدى وستون سنة، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: هل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قال: هاته، قال: ﴿الر﴾ قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحد، واللام ثلاثون، والراء مائتان، ثم قال: فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قال: هاته، قال: ﴿المر﴾ قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان، ثم قال: هل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قالوا: قد التبس علينا أمرك فما ندري ما أعطيت، ثم قاموا عنه، ثم قال أبو ياسر لحيي أخيه: وما يدريك لعل محمداً قد جمع هذا كله وأكثر منه، فقال أبو جعفر عليه السلام: إن هذه الآيات أنزلت فيهن ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ وهي تجري في وجوه أخر على غير ما تأول به حيي وأبو ياسر وأصحابه.

الرواية الثانية: ما تقدم ونقلناه[10] عن التفسير المنسوب إلى مولانا العسكري عليه السلام، وعرفنا المناقشة السندية في ذلك.

الرواية الثالثة: ما رواه الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بسند ضعيف إلى سفيان بن سعيد الثوري[11]، إلى أن يقول: ما معنى قول الله عز وجل الم، المص، الر، المر، كهيعص إلى آخر الحروف المقطعة، قال عليه السلام أما الم في أول البقرة فمعناه أنا الله الملك، وأما الم في أول آل عمران فمعناه أنا الله المجيد، وهكذا. فذكر لكل مقطع من هذه الحروف المقطعة معنى محدداً، الرواية طويلة لا يهمنا التعرض لها.

هذه الرواية يمكن أن يستنصر بها من قال إن الحروف المقطعة لها معنى معين ومعلوم، أعلمناه من قبل أئمة الهدى عليهم السلام، إلا أن هذه الرواية كما قرأنا ضعيفة السنة.

الرواية الرابعة: ما رواه الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بسند قابل للاعتبار، وهي رواية مهمة، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ جَعْفَرٍ الْهَمْدَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عِمْرَانَ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سَعْدَانَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: الم هُوَ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الْمُقَطَّعِ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي يُؤَلِّفُهُ النَّبِيُّ ص وَ الْإِمَامُ فَإِذَا دَعَا بِهِ أُجِيبَ)[12].

الرواية من ناحية السند قابلة للاعتبار، ومن ناحية الدلالة تدل على الرمزية كما هو واضح، لكن رمزية في شيء معين، هو أن الباري تبارك وتعالى له اسم أعظم مبثوث وموزع في القرآن الكريم، والم هو

---

[10] معاني الأخبار، ص: 62.

[11] معاني الأخبار، ص: 23.

[12] معاني الأخبار، ص: 23

حرف من هذا الاسم الأعظم الذي يعرف النبي ﷺ جميع حروفه، فإذا دعا به أجيب، لكن ما هو معناها؟ لا نعرف. هذه رواية قابلة اعتبار، لكن الإشكال فيها أنه واردة في خصوص الم، أما بقية الحروف المقطعة، هل هي مقاطع من الاسم الأعظم أم لا؟ لا يوجد في الرواية ما يدل على التعميم، الرواية لم ترد بلسان كلية وتطبيق على الم، وإنما مباشرة تكلم عن ألم بخصوصه.